هو العليم

تفسير آية ﴿يرِيدُونَ لِيطْفِؤُا نُورَ اللهِ بِأَفْواهِهِمْ﴾

ولادة السيّدة الزهراء عليها السلام عام ١٤٢٨ هـ ق

محاضرة ألقاها

آية الله الحاجّ السيّد محمّد محسن الحسينيّ الطهرانيّ

قدس الله سره

@MadrastAlwahy

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

و صلّى الله عَلَى سيّدنا و نبيّنا أبي القاسم محمّدٍ

و على آله الطّيبين الطّاهرين و اللعنة عَلَى أعدائِهِم أجمَعينَ

بعد كلمات المحاضر عن فضائل السيّة الزهراء والتأسّي بتلك السنّة، لم يعد هناك حاجة إلى كلامنا، خصوصًا وأنّ المجلس سيطول شيئًا ما، وحسن انقعاد هذه المجالس هو في أنّها لا تسبّب الملل، لأنّه إذا كان المجلس بمقدار متوازن فإنّ النفس تقبل تلك المعاني التي تلقى وتتلقّاها، ويكون تأثيرها ونفوذها عميقًا، ويتحقّق لدى الإنسان نفوذ للكلام إلى نفسه. أمّا إذا طالت المجالس واستمرّت هكذا بلا فائدة وصارت كما هو الحال في الهيئات هذا يقرأ وذاك يقرأ والواحد منهم يسابق الآخر ومن الصباح حتّى الظهر يتكلّمون هكذا، فإنّ المخاطب إذا ما قام من المجلس يرى أنّه لم يفهم شيئًا، وأنّه فقط جلس لثلاث ساعات ولم يلتفت إلى شيء، لذلك فإنّ دأب المرحوم العلاّمة والأعاظم كان في أن لا تتجاوز هذه المجالس عن حدّها ووقتها المطلوب، ولا داعي لأن تطول أكثر فأكثر وتستمرّ.

ولكن حيث إنّ هناك في النهاية توقّعًا لأن أتكلّم وأضيّع أوقاتكم قليلاً ومن باب المقدّمة لتحقيق هذا الهدف فإنّي أتكلّم للرفقاء والأصدقاء بضع كلمات.

ما هو نور الله في آية ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ ومن هم الذين يحاولون إطفاءه؟

هناك آية في القرآن عجيبة جدًّا، فمن جهة هي بشيرة ومن جهة أخرى نذيرة أيضًا، عندما قمت الصبح لإقامة الصلاة قلت في نفسي إذا أردت أن أتكلّم اليوم فماذا أتكلّم؟ وفجأة خطرت في بالي هذه الآية:

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1]

الآية عجيبة جدًّا ومنبّهة. فهؤلاء المشركون وهؤلاء المنافقون وهؤلاء الذين وقفوا أمام الحقّ وأمام طريق الله، لا فرق بين أن يكونوا يهودًا أو نصارى، صهاينة أو مسيحيّين أهل كنيسة، هؤلاء الذين وقفوا في وجه الإسلام، ويسعون بجميع الأنحاء والوسائل وبأفكارهم الشيطانيّة إلى سدّ طريق الله، وسدّ المعرفة بخططهم المشؤومة في ترويج الكتب المنحرفة والترغيب والدعم ومختلف أنواع الكلام ونشر الأكاذيب والشائعات في المؤتمرات والمجالس الخاصّة لهم وندواتهم وجرائدهم وفي وسائل التواصل الاجتماعي ـ فلا تقولوا وسائل الإعلام العامّة بل قولوا وسائل التواصل الاجتماعيّ فهل التفتّم؟ ـ كلّ ذلك أو الذين يعملون ضدّ الدين نفسه وللوقوف أمام إحقاق مدرسة الحقّ ويسعون إلى التحريف والانحراف وإثبات الباطل وإنكار الحقّ، من مختلف الناس المعاندين والمغرضين والذين ليسوا قليلي العدد سواء من الشيعة الذين هم في صدد كتمان الحقائق وفي صدد سدّ طريق المعرفة، وفي صدد تنفيذ أغراضهم، وفي صدد الوقوف أمام نفوذ كلمة التوحيد في مجتمع أتباع أهل البيت، لا فرق في ذلك في أيّ صورة كانوا وفي أيّ كثرة فإنّهم جميعًا مشمولون لهذه الآية الشريفة: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ فما هو نور الله؟

نور الله هو نور المعرفة، نور التوحيد، نور العرفان، نور أمثال السيّد القاضي رحمه الله، نور أمثال الآخوند الملاّ حسين قلي الهمداني، نور أمثال العلاّمة الطباطبائي.

---

١ سورة الصفّ (٦١) الآية ٨.

البدائل الشيطانيّة لنور الله

يريدون أن يغلقوا هذه المدرسة ويسدّوا بابها، فإذا أطفأوا نور اللَه فبماذا يأتون بدلاً منه؟ يأتون بالهوى والهوس والمواقع والمقامات والضجيج ونشر الأكاذيب والملء بالمسائل المنحرفة والتحريك في هذا الاتّجاه وذاك. يريدون أن يأتوا بهذه الأمور ويدخلوها إلى السوق. لقد كان الأمر هكذا من البداية، فمع غضّ النظر عن الأنبياء السابقين إذا نظرنا إلى النبيّ فقد قالوا له من البداية: ﴿إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٌ﴾ ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٌ ۞ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1] لقد قالوا من البداية إنّه مجنون، وقالوا من البداية: ﴿سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾ لقد قام بسحر.

إنّهم يواجهون تأثير آيات القرآن بالسحر، لا يمكنهم أن يواجهوها؛ فيقولون: لقد سَحَر، إنّه يسحر. لا يمكنهم أن يواجهوا هذا النفوذ للأنوار الساطعة من الآيات الملقاة من مصدر الوحي على أسماع المخاطبين وتحدث تغييرًا في وجودهم بحيث تجعلهم يتفكّرون من الليل حتّى الصباح ويتأمّلون في مضامين الآيات، وإذا حلّ الصبح تكون قد غيّرت هذه المعاني حالاتهم وغيّرت أفكارهم.

فما هي تلك المضامين التي تقال؟ وما هي تلك الآيات التي قرأها علينا النبيّ بالأمس؟ وما هي تلك الكلمات، فنحن حتّى الآن لم نسمع من قريش والمشركين هذا الكلام، لم نسمع حتّى الآن من الكبار كأبي سفيان وأبي جهل والمغيرة بن شعبة وعتبة وشيبة والعبّاس بن عبّد المطّلب هذا الكلام، لقد كنّا نسمع منهم الكلام حول مجالس اللهو، كنّا نسمع منهم السخرية، كنّا نسمح منهم الاستهزاء بهذا وبذاك، فحينما كنّا بين أظهر قريش لم نكن نسمع سوى السخرية فهذا يسخر من ذاك، وذاك يعيّر هذا، وهذا يتّهم ذاك وهذا يعيّر ذاك ويضعفه وينتقده، لقد كنّا نشارك في مجالس الكفّار ولم يكن فيها إلا تعيير هذا وذاك، ولم يكن فيها كلام اللَه والنبيّ ولا كلام الإمام، وكلا كلام عن التوحيد، فقد كان يمضي الوقت من الليل حتّى الصباح بالكلام

---

١ سورة القلم (٦٨) الآية ٥١ و ٥٢.

بالغيبة والتهمة لهذا ولذاك، واليوم جاء النبيّ يقرأ لنا آيات القرآن وأشياء أخرى، فهناك تأثير آخر وأجواء أخرى.

فكانوا يمضون متفكّرين بتلك الآية التي قرأها النبيّ اليوم ماذا كانت وما معناها وماذا كان جوّها؟ فإذا أصبح الصبح يكون قد قرّر قراره، ويكون قد قرّر طريقه، فما كانّا عليه حتّى الآن كان كلّه باطلاً، وكلّ ما سمعناه حتّى الآن في قريش ومجالس أبي سفيان وأبي جهل وعتبة هو باطل، فأين تلك السخرية وذاك التعيير وضرب هذا وذاك؟!

أين هذه الآيات التي يقرأها هذا الرجل علينا؟! هذا الكلام الذي يقوله هذا، هذه الآيات التي تشكّل كلّ منها على حدّ قول المرحوم العلاّمة مطرقة على تلك النفس الأمّارة للإنسان، والتي تخلّصنا من تلك التعلّقات بشرط أن يكون لدينا ﴿أذن واعية﴾[1]، لا أن نسدّ منافذ آذاننا ويكون مجرّد دوران الشريط مخلّصًا للنفس الأمّارة من التعلّق بالكثرات والأهواء المختلفة التي هي بصورة إسلاميّة وروحانيّة وإلهيّة ومعنويّة، ولكنّها في الحقيقة تعلّق في الكثرات بلا تردّد.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ﴾[2]

فمن الذي يفكّر بهذه الآية ولا يهتزّ؟! إلهي العزّة منك، أنت ترفع وأنت إن شئت تخفض، أنت تؤتي الملك وأنت تأخذه وتنزعه.

إنّ المطالعة في كتب الماضين، في تاريخ الماضين مفيدة جدًّا للإنسان وتجعل الإنسان واعيًا لتكليفه وطريقة تفكيره في هذين اليومين الباقيين من العمر، فعلى الأقلّ ندرك ما نفعل في هذين اليومين. ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ﴾ ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[3] كلّ ما في السماء والأرض فإنّ قدرته وإرادته المديرة والمدبّرة بيد الله. ولكنّنا نقرأ هكذا كالجريدة ونمضي.

---

١ مقطع من سورة الحاقّة (٦٩) الآية ١٢.

٢ سورة آل عمران (٣)، الآية ٢٦.

٣ سورة آل عمران (٣)، الآية ١٨٩؛ سورة المائدة (٥) الآية ١٧ و١٨؛ سورة النور (٢٤) الآية ٤٢؛ سورة الجاثية (٤٥) الآية ٢٧؛ سورة الفتح (٤٨) الآية ١٤.

اختلاف المواقف من القرآن

لقد رأى هؤلاء أنّ النبيّ يلقي بأفكاره، واتّخذ بعض الناس موقفًا، وكانت المواقف على نحوين. فالنبيّ قرأ هذه الآيات على الجميع، فكما قرأها على بلال قرأها على أبي جهل وأبي سفيان وعلى ياسر وعمّار وسميّة وعلى هند وشيبة وعتبة وأمثالهم، فقد قرأها على الطائفتين كلتيهما، وكلتا الطائفتين سمعت، ولم تسمع إحداهما أكثر من الأخرى، فالجميع كان حاضرًا وكانوا يسمعون.

وهنا ينقسم هؤلاء الذين هم في مقابل هذه الآيات إلى قسمين:

قسم يأخذ بهذه الآيات مباشرة، يرى أنّها حقّ، انتهى الأمر، إنّها حقّ، فإذا كان كلام ما حقًّا ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾[1] انتهى الأمر يأخذون بها ويعملون بها ويتّبعونها. يتّبعونها ولا يصغون إلى كلام الناس ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ لا يصغون إلى كلام الناس. يأخذون بالأمر ويدركونه ويعملون به ويتقدّمون إلى الأمام. من هم هؤلاء؟ عمّار، زيد بن حارثة، ياسر، بلال الحبشي وأمثالهم كجعفر الطيّار وحمزة عمّ النبيّ، سواء كانوا من قوم النبيّ أم من غيرهم، يأخذونه ويتقدّمون ويعملون وينتهي الأمر.

القسم الآخر هم هؤلاء الذين يقولون: عجيب! ماذا حصل حتّى صار هذا يتكلّم معنا بهذا الكلام، أفهل نحن بغير عقل ولسان حتّى جاء هذا؟! أهذا هو من عليه أن يتكلّم بهذا الكلام معنا، فما معنى أن يتكلّم معنا بذلك؟! هل معنى ذلك أنّ علينا أن نمضي إلى أعمالنا نحن من الآن فصاعدًا؟ لقد بذلنا الجهود حتّى الآن منذ خمسين عامًا وستّين عامًا وحصلنا على جاه بين الناس وصارت لنا شخصيّة فصرنا ندعى جميعًا بفلان الدولة وفلان الدولة وأمين التجّار وحكيم الحكماء وفلان الفلاسفة فلان الفقهاء وأمثال هذا الكلام وفجأة يقال لنا: تنحّوا جانبًا! ـ وطبعًا نحن نقول هذا الكلام ـ تنحّ جانبًا! لقد بذلنا الجهد بين الناس حتّى الآن. فهناك من

---

١ سورة يونس (١٠) الآية ٣٢.

صار سقّاءً يسقي الحجّاج ويأتيهم بالماء فصارت له مرتبة بحيث لا يستطيع أيّ إنسان أن يقوم بذلك ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾[1]

تمامًا مثل ما هو موجود الآن في الهيئات ومواكب العزاء فمثلاً من يقرأ هو واحد، فلو جاء غيره ليقرأ لأريقت الدماء، أو أنّ هناك من يصرخ فجأة صوتًا يهدّ السقف على الحاضرين أثناء المجلس في الهيئات، فلو جاء غيره وصرخ تلك الصرخة لوقعت مشكلة بين العائلتين أن لماذا صرخ فلان وتدخّل فهذا ما يجب عليّ أنا أن أقوم به، فلماذا صرخت أنت يا فلان؟ نعم! لعب لعب في النهاية لعب، فاللعب لعب هذا بهذه الطريقة وهذا بالإمام الحسين، لعب بالإمام الحسين وأبي الفضل، وذاك باسم المشرك واسم الكافر.

فمن يسقي الماء مثلاً لا بدّ أن يكون العبّاس مثلاً ليكون لهذه لهذا الشرف بحيث يسقي الناس والعبيد والعمّال وأصحاب القوافل، فهذا هو من يسقي الحجّاج والناس، ولو أنّ غيره قدّم كوبًا من الماء فكأنّ السماء قد وقعت على الأرض. فهناك دائمًا أمثال هذه الألاعيب وهي الآن موجودة وستبقى أيضًا.

وأمّا ذاك الآخر فما هي وظيفته؟ إنّه الأمين على مفتاح الكعبة، وينبغي أن لا يكون مفتاح الكعبة بيد غيره، فلو جاء غيره وفتح باب الكعبة فكأنّ الكعبة قد محيت عن الأرض ولم يعد لها وجود وذرّيت فوق الأرض، ولم يبق هناك ماء وجه.

وأمّا الثالث فما وظيفته؟ ذاك يرعى أمور المسجد الحرام. والرابع هكذا، يقتسمون بينهم الأمور، يجلس عدد منهم أن افعل أنت هذا، وأنت افعل هذا، وأنت ذاك، فنحن لا نتنازع في هذه الأمور المهمّة، وطبعًا بحسب الظاهر لكي ينشغل الناس، ففي النهار نجتمع، أنا أقول لك شيئًا وأنت تقول لي شيئًا لكي نجمع الناس، ولكن في الباطن نسرق جميع أموال الحجّاج ونفرّ بها.

فجاء النبيّ وبيّن آيات القرآن للنّاس، فلمّا بيّنها اختلفت مواقف الناس منه، فمنهم من قبل ورضي وكانت نفسه صافية أمام الحقّ، ولم تكن لهم مواجهة للحقّ، فهذا صواب يقبل،

---

١ سورة التوبة (٩) الآية ١٩.

وانتهى الأمر. ولم يفكّروا في أنّه إذا قبلت فماذا سيحدث؟ سيستجوبني الكبار، فلا بدّ أوّلاً أن أستأذنهم، وأرى هل هم راضون عن قبولي لهذا الأمر أم لا؟ أفهل يحتاج الحقّ إلى إجازة من أحد يا عزيزي؟! هل يحتاج الحقّ إلى إجازة؟!

قيل لي: لقد طبع كتاب كذا فهل نشتريه أم لا؟

فقلت: اجعلوا في كلّ غرفة من غرفكم عش نسخ منه، إنّه كتاب طبع، فإن كان فيه كلام جيّد فاقبلوا به، وإن كان فيه كالم سيّئ وباطل فلا تقبلوا به. فما معنى أن نسأل نشتريه أو لا نشتريه؟ إذا واجه الإنسان كلام حقّ في مكان ما فهل عليه أن لا يقبله؟ إذا واجه الإنسان كلامًا صحيحًا فهل عليه أن يرفضه لأنّ قائله فلان؟ إن كان الكلام موافقًا للموازين والمبادئ فلتقبلوه. على الإنسان أن يكون صافيًا أمام الكلام الحقّ، عليه أن يكون خالصًا، لا يكون لديه غلّ ولا غشّ، عليه أن لا يتّخذ موقفًا معاديًا، فما معنى اتّخاذ الموقف المعادي؟ وما معنى الخوف؟ إذا قبلت بهذا فهو موافق لمصالحي أم مخالف لها؟! فما معنى هذا الكلام؟ وما هذه الخزعبلات؟

ما معنى قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ؟

منذ أن جاء رسول الله وقال: **"قولوا لا إله إلا الله تفلحوا"**[1] اجعلوا جميع الأنانيّة جانبًا وأمسكوا بحقيقة التوحيد لكي تفلحوا، إن لم تقولوا لا إله إلا الله فلن تفلحوا، فالذي يقول أنا لا أقبل بهذا الأمر لأجل المصالح فهو ليس قائلاً لا إله إلا الله، بل قائل بلا إله إلا أنا، إن كان لا إله إلا الله فلا بدّ من العبور من هنا، ولا بدّ من التجاوز عن هذا الأمر، لا إله إلا أنا، لا إله إلا أبي، لا إله إلا أمّي، لا إله إلا قومي وأقاربي، لا إله إلا شريكي، لا إله إلا زوجتي إلا أولادي، كلّ ذلك يصبح للإنسان إلهًا، فأين لا إله إلا الله إذن؟! أين ذهبت لا إله إلا الله؟

---

١ مناقب آل أبي طالب عليهم السّلام، ج ١، ص ٥٦؛ مسند أحمد، ج ٣، ص ٤٩٢ و ج ٤، ص ٣٤١ و ج ٥، ص ٣٧١ و ٣٧٦. معرفة الإمام، ج٩، ص ١٤٩: قال طارق المُحاربيّ: بَيْنا أنا بسوق ذي المجاز، إذا أنا بشابّ يقول: قُولُوا: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا**. و إذا رجل خلفه يرميه قد أدمى ساقيه و عرقوبيه، ويقول: يا أيّها الناس! إنّه كذّاب فلا تصدّقوه! قلتُ: من هذا الشابّ؟ فقالوا: هو محمّد يزعم أنّه نبيّ، و هذا عمّه أبولهب يزعم أنّه كذّاب.

النبيّ عندما قال لا إله إلا الله... الآن هناك في العالم مليار مسلم يقولون لا إله إلا الله، فهل كلّهم مفلحون؟ أيّهم هو المفلح؟ اذهبوا وتحدّثوا مع واحد من أهل السنّة هؤلاء ما إن يصل الكلام إلى هذا الموضوع يقول لا لا لا تتحدّث عن هذا الموضوع، فأين ذهبت لا إله إلا الله إذن؟

ما معنى لا إله إلا الله؟

عندما تقول لا إله إلا الله فهذا يعني أن تجعل أنانيّتك جانبًا. لا مؤثّر في الوجود إلى الله، لا هويّة في الوجود إلا هذه الهويّة، لا عينيّة في الوجود إلا هذه العينيّة، لا تشخّص في الوجود إلا هذا التشخّص، لا موجود في العالم إلا هذا الموجود، لا معبود في العالم إلا هذا المعبود، لا مطاع في العالم إلا هذا... كلّ هذا لا بدّ أن يحصل للإنسان بقول لا إله إلا الله، لا معبود في العالم ولا مطاع في العالم ولا منقاد إليه فيه العالم ولا آمر في العالم ولا ناهي في العالم ولا أيّ مصلحة في العالم لأحد خاص، لا شيء، فقط هو، يقول العرفاء هذه هي الحقيقة.

لماذا لا تقول لا إله إلا الله هذه؟ لماذا تحتفظ بنفسك في هذا الشقاء حتّى آخر العمر؟ لماذا تجلب لنفسك ألف شقاء وزيغ ومصيبة ومرض أعصاب وتشتّت واضطراب وأمثال ذلك فلتقل لا إله إلا الله واحدة وتنجو وتستريح. قل لا إله إلا الله فقط هو، فعندما تقول فقط هو لا يبقى لديك شيء يمسك بيديك ورجليك، لا يبقى لديك أمر غامض، عندما تقول لا إله إلا الله...

يقولون: إنّ أباك غير راض عن هذا الأمر.

ـ نحن قلنا لا إله إلا الله، فليأت هو، وإن شاء الله يوفّق الله لرضاه.

ـ إذا قبلت بهذا الأمر فإنّ زوجتك ستتأذّى منك ولن تتوافق معك...

ـ نحن قلنا لا إله إلا الله، وإن شاء الله سترضى بنحو من الأنحاء.

ـ إذا قلت بهذا الأمر فإنّ شريكك سيتأذّى.

ـ لقد قلنا لا إله إلا الله وإن شاء الله يوفّقهم أيضًا.

ـ إذا قلت بهذا الأمر فإنّ الجار سيتأذّى! والأقارب سيسخطون وسيؤذونك.

يا عزيزي كلّ هذا الكلام هو لأجل هذين اليومين في الدنيا، ونحن لم نخلق لأجل هذين اليومين، لقد خلقنا لأجل ذاك العالم، لا إله إلا الله هذه التي عندنا هي جسر لا بدّ أن نعبره لكي نصر إلى ذاك الجانب حيث السعادة الأبديّة والفلاح الأبديّ.[1] وقد قلت للرفقاء مرارًا، إنّ كلّ هؤلاء الذين يحيطون بنا في هذه الدنيا ويسبّبون لنا التوقّف لن يشفع لنا منهم أحد يوم القيامة، وسيقولون لنا: لا علاقة لنا بك.[2] تقول: لا،إن شاء الله نمضي معًا إن شاء الله وهذا من الوعود القطعيّة التي لا تتخلّف!

---

[1] ١ معاني الأخبار، ص ٢٨٨: وَ قال عَلِيُّ بنُ الحُسَينِ عليه السّلام: «...فَما المَوتُ إلّا قَنطَرَةٌ تَعبُرُ بِكُم عن البُؤسِ و الضَّرّاءِ إلَى الجِنانِ الواسِعَةِ و النَّعيمِ الدّائِمَةِ فَأيُّكُم يَكرَهُ أن يَنتَقِلَ مِن سِجنٍ إلَى قَصرٍ و ما هو لِأعدائِكُم إلّا كَمَن يَنتَقِلُ مِن قَصرٍ إلَى سِجنٍ و عَذابٍ ـ إنَّ أبي حَدَّثَني عن رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلّم: أنَّ الدُّنيا سِجنُ المُؤمِنِ و جَنَّةُ الكافِرِ و المَوتُ جِسرُ هؤلاء إلَى جَنّاتِهِم و جِسرُ هؤلاء إلَى جَحيمِهِم ما كَذَبتُ و لا كُذِبت.»

الكافي، ج ٢، ص ١٣٤: «عَلِيُّ بنُ إبراهيمَ عن محمدِ بنِ عيسَى عن يَحيَى بنِ عُقبَةَ الأزديِّ عن أبي عَبدِ اللهِ عليه السّلام قال: «قال أبو جَعفَرٍ عليه السّلام: مَثَلُ الحَريصِ عَلَى الدُّنيا كَمَثَلِ دودَةِ القَزِّ كُلَّما ازدادَت عَلَى نَفسِها لَفّا كان أبعَدَ لها مِنَ الخُروجِ حَتَّى تَموتَ غَمّا. قال: و قال أبو عَبدِ اللهِ عليه السّلام: كان فيما وَعَظَ بِهِ لُقمانُ ابنَهُ يا بُنَيَّ إنَّ النّاسَ قد جَمَعوا قَبلَكَ لِأولادِهِم فَلَم يَبقَ ما جَمَعوا و لَم يَبقَ مَن جَمَعوا لَهُ و إنَّما أنتَ عَبدٌ مُستَأجَرٌ قد أُمِرتَ بِعَمَلٍ و وُعِدتَ عَلَيهِ أجرًا فَأوفِ عَمَلَكَ و استَوفِ أجرَكَ و لا تَكُن فى هذه الدُّنيا بِمَنزِلَةِ شاةٍ وَقَعَت فى زَرعٍ أخضَرَ فَأكَلَت حَتَّى سَمِنَت فَكانَ حَتفُها عندَ سِمَنِها و لكنِ اجعَلِ الدُّنيا بِمَنزِلَةِ قَنطَرَةٍ عَلَى نَهرٍ جُزتَ عَلَيها و تَرَكتَها و لَم تَرجِع إلَيها آخِرَ الدَّهرِ أخرِبها و لا تَعمُرها فَإنَّكَ لَم تُؤمَر بِعِمارَتِها و اعلَم أنَّكَ سَتُسأَلُ غَدًا إذا وَقَفتَ بَينَ يَدَيِ اللهِ عزّوجلّ عن أربَعِ شَبابِكَ فيما أبلَيتَهُ و عُمُرِكَ فيما أفنَيتَهُ و مالِكَ مِمّا اكتَسَبتَهُ و فيما أنفَقتَهُ فَتَأهَّب لِذَلِكَ و أعِدَّ لَهُ جَوابًا و لا تَأسَ عَلَى ما فاتَكَ مِنَ الدُّنيا فَإنَّ قَليلَ الدُّنيا لا يَدومُ بَقاؤُهُ و كَثيرَها لا يُؤمَنُ بَلاؤُهُ فَخُذ حِذرَكَ و جِدَّ فى أمرِكَ و اكشِفِ الغِطاءَ عن وَجهِكَ و تَعَرَّض لِمَعروفِ رَبِّكَ و جَدِّدِ التَّوبَةَ فى قَلبِكَ و اكمُش فى فَراغِكَ قَبلَ أن يُقصَدَ قَصدُكَ و يُقضَى قَضاؤُكَ و يُحالَ بَينَكَ وبَينَ ما تُريدُ.»

٢ تشير الآيات التالية إلى هذا الأمرسورة الأنعام (٦) الآية ٩٤: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾

سورة يونس (١٠) الآية ٢٨: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾

سورة الأحقاف (٤٦) الآية ٥: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾

كلا لا شيء من ذلك.

هناك طريق واحد قد رسم لنا، إن شاء اللَه يوم القيامة لا نكون أسرى لهذه الأمور، وفّقنا اللَه أن نفارق هذه الدنيا بفراغ بال وابتسامة وكما قال المرحوم العلاّمة نزفّ زفًّا، عندما كنت معه في المستشفى وكان يوصيني كان يقول: إذا حملتم جنازتي فلا تبكوا، بل زفّوني زفًّا، وكونوا مسرورين واضحكوا. هكذا هو طريقنا، لقد قال إنّ طريقنا هكذا.

أمّا لو أخذوه من هنا إلى مكان آخر في الخارج إلى هذا المكان وذاك فماذا ولماذا؟! لقد كان المرحوم العلاّمة يقول: قطّعوني إربًا إربًا فلن أخرج من مشهد هذه، لا أفارق الإمام الرضا، نعم هذا نوع من المدارس، وهناك مدارس أخرى أيضًا.

فلا بدّ من السير في الطريق الصحيح، الطريق الذي ساروا هم فيه، فما دمنا نحن نسير نحو ذاك الاتّجاه فإذا جاء أحد يوم القيامة وقال للمرأة أو جاءت المرأة وقالت للرجل: لقد تخلّفت عن طريق اللَه بسببَك أو بسببِك، فإنّه يقول: ما شأني أنا، كان بإمكانك أو بإمكانكِ عدم فعل ذلك، هل قيّدت أنا الأيدي؟! هل ربطتك بالزناجير والأغلال؟! كان بالإمكان عدم فعل ذلك، بكلّ هذه البساطة يجيبون: كان بالإمكان أن لا تفعل. ثمّ لا ينتظرون جوابك، بل يطأطئون رؤوسهم ويتابعون طريقهم. حسنًا فهذا صنف.

الصنف الثاني الشريك:

ـ لقد غششت في المعاملة من أجلك، وقد خادعت ذلك الرفيق من أجلك، لقد كذبت على الزبون من أجلك، لقد ارتكبت الباطل من أجلك.

ـ كان بإمكانك أن لا تفعل ذلك. أفهل قيّدتك بالزنجير؟ كان بإمكانك أن تربح أقلّ أو أكثر أو لا تربح أصلاً، كان بإمكانك أن تقنع بقليل من الربح.

ما إن نريد أن نتكلّم يقال لنا: انصرف يا عزيزي يكفينا ما لدينا في أمان اللَه. فهذا حال الشريك.

وأمّا الخالة وابن الخالة وابن العمّة والأقارب والأرحام والأبناء والبنات: لقد سكتُّ عن الحقّ من أجلك كي لا تحزن.

ـ هذا شأنك، كان بإمكانك أن تقول! بإمكان أن تقول لا بكلّ بساطة. فاسمع الآن! وإن شاء الله لا تسمعون ذلك فهذا خطاب عامّ ولا خاصًّا بالحاضرين.

يأتون بكلّ سهولة ويقولون للإنسان: كان بإمكانك أن لا تفعل! لقد قلت للرفقاء الآن ذلك الجواب الذي سنسمعه يوم القيامة لكي نعلم ما يجب علينا، ولا ندعهم غدًا يقولون لنا ذلك، نحن إذ نعلم أنّ الأمر حقّ ويقينيّ وواضح وضوح النهار أنّهم سيجيبوننا هكذا، فلنحدّد تكليفنا من الآن فمن شاء من الناس أن يقبل فليقبل، ومن شاء أن يرفض فليرفض!

آداب مجالس الفاتحة وبعض التقاليد الباطلة فيها

لقد قلت للرفقاء وللأصدقاء مرارًا أنّ عليهم أن لا يشاركون في هذه المجالس التي تقام، فقبل أيّام كانت هناك وفاة قبل أسبوع أو أسبوعين رحم الله جميع الأموات، وكنت في مشهد فقالوا هناك مجلس فاتحة سيقام في المسجد وفي هذا المسجد كراسي، وهو في المنطقة الراقية من المدينة وله شؤون واعتبارات. فقلت: أنا لا أشارك في مجلس كهذا. إنّ مجلس الفاتحة ليس مسرحًا، إنّه مجلس لطلب الرحمة والمغفرة وأمثال ذلك، وهذا يختلف عن المسرحيّة، يختلف عن مجلس الرقص والضرب، يختلف عن مجلس الاحتفال والفرح.

قالوا: لقد وضعوا الكراسي لمن لديه ألم في رجله.

فقلت: كلاّ، لا أحد من هؤلاء الذين يجلسون على الكراسي يعانون من ألم في الأرجل، ومن كان يعاني من ذلك فليصطحب معه كرسيًّا. ثمّ إنّ من المعلوم أنّ من يصل أوّلاً فإنّه يجلس على الكراسي والأرائك. فما هذه الألاعيب؟ ألأنّه في منطقة راقية من المدينة لا بدّ أن يكون بنحو راق ومنسّق وغير متعارف، أفّ لمجلس الفاتحة الذي يكون فيه ذلك، فذاك الميّت يرتجف في قبره وهؤلاء يبحثون عن المظاهر في مجالسهم.

فالميّت يقول: أنا أحاسب الآن عن عمر من الأعمال الصالحة والطالحة، وأنتم تبحثون عن وضع العائلة؟ فقلت: أنا لا أشارك. فأخذ بعض الأقارب الأمر على محمل الجدّ والتفتوا؛ فهم يكنّون لي محبّة، فعبّروا عن محبّتهم وأخذوا الأمر بجدّ، فهناك كلام من هذا النوع، وهم

يريدون أن يصل إلى والدتهم أو المتوفّى خير وثواب ورحمة، وأنا لا أمتنع عن المشاركة في المجالس فأقول لا آتي، بل أقول آتي ولم أفرّ، غاية الأمر أنّي لا آتي إلى هذا المجلس، غيّروا مجلسكم واجلسوا مثل الناس على الأرض، ولا تقفوا ولا تجلسوا على الكراسي بل اجلسوا على الأرض واقرؤوا القرآن وانظروا إن كنت أحضر أم لا، أحضر من أوّله إلى آخره وأكون أوّل الحاضرين. فانظروا أفعل أم لا؟

فقرّروا أن يتابعوا الأمر ويغيّروا المجلس فواجهوا مخالفات شديدة من قبل أفراد العائلة وأنّه سيحصل كذا وكذا، سيراق ماء وجهنا وأمثال هذا الكلام، فنحن لنا شأن. زاد اللَه في توفيقهم وضاعف وضاعف فقد وقفوا في مقابل هذا الكلام وقالوا علينا أن نقوم بما يقوله السيّد الطهراني فهذا هو الحقّ. إنّ هذا توفيق، ولم يكن هؤلاء من السالكين ولكنّهم لمّا أدركوا وجود حقّ وأدركوا أنّ ثمّة أمر ما قبلوا به.

أمّا الآخرون فليسوا كذلك، بل يقولون: يجب أن يكون كما نقول، وشؤوننا تقتضي وشخصيّتنا لها شأن، ولو سيطرت على المسجد تلك الأجواء التي تريدون لانحطّ قدرنا، فنحن العائلة الشهيرة... وتأتي أمثال هذه الألاعيب وتفسد وتذهب بروح المجلس.

واقعًا أيّها الرفقاء أسألكم بحقّ: شاركوا الآن في مجلسين من مجالس الإمام الحسين، أحدهما فيه كراس وأمثالها قد وضعت في أطراف المجلس كلّها وجلسوا عليها وكأنّهم لو جلسوا على الأرض لعدّوا مرضى، ثمّ بعد ذلك يبدأ القارئ بالقراءة، وأحدهم واضع رجله على الأخرى وهو يستمع إلى كلامه... لقد دخلت إلى أحد المجالس لأحد الأرحام في طهران، ولم أكن أعلم، وكان لأحد الأرحام المقرّبين قد توفّي قبل شهرين أو ثلاثة، ولم أكن على علم، فدخلت فجأة فرأيت أن يا له من مجلس فاتحة؟ إنّه سينما! أين هي الفاتحة؟ الجميع جالسون على الكراسي مادّين أرجلهم وقارئ القرآن يقرأ، وهذا يتكلّم مع ذاك وذاك يضحك مع هذا، ومن هم؟ علماء وليسوا من عوامّ الناس. وكأنّ القارئ يقرأ كليلة ودمنة، إنّه يقرأ القرآن الذي نزل على النبيّ والعلماء جالسون يتحدّثون ويضحكون، فإن كان هؤلاء هكذا فما حال الآخرين؟

فإذا كان هؤلاء هذا حالهم فما حال الآخرين؟! وبينما هم يقرأون القرآن كلّما قرأوا سطرًا أو سطرين قيل: لأجل سلامة السيّد فلان الذين تلطّف بنا وشرّف مجلسنا وزيّنه صلّوا على محمّد وآل محمّد، فلو لم يذكروا اسمه لقامت القيامة، فلا بدّ من ذكر اسمه أثناء قراءة القرآن! هذه إهانة للقرآن، إلقاء للقرآن على الأرض! وكأنّ السادة سكارى مصابون بالدوار فاقدون للوعي لا يدركون أنّ قراءة القرآن هذه فيها آية قرآنيّة توجب استماعه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ فلتسكتوا ولتصغوا. وكأنّ هذا الكلام هو فقط في القرآن، وهذا معنى أنّ القرآن قد غاب من بيننا. القارئ يقرأ وكأنّه لا أحد يقرأ القرآن. فهذا واضع السيجارة في فهمه يمجّها ويبعث الدخان في الهواء، وذاك يمجّ نارجيلة، وذاك يتكلّم، ومع كلّ هؤلاء يقرأ القارئ القرآن، ثمّ ينظر مرارًا من أين جاءت برقيّات التعزية، من النائب فلان، من المدينة كذا، ومن القرية كذا ومن المزرعة كذا أرسل فلان برقية تعزية ورئيس بلديّة كذا، وأمثال هذه الألعاب... ذهبت فما إن دخلت حتّى خرجت ووقفت جانبًا ورحت أفكّر هل أدخل إلى هذا المجلس؟ قالوا: تفضّل. قلت: لا سأقف هنا جانبًا. التفت أحدهم إلى مرادي، وكان من أهل العلم، فوقفت بضع دقائق فرأيت أنّي أعتبر من أهل العزاء والناس يأتون ويعزّونني، فقد كان المتوفّى من الأقارب المقرّبين جدًّا. فقلت إنّ وقوفي هنا أيضًا يعدّ مخالفًا للشرع. فوقوفي هنا يعني أنّي مؤيّد. فقلت: أنا أستأذن لديّ عمل. وكان هناك رجل هو الأكبر فمازحني وقال: أفهل اتّضح الآن أنّ الذين جاؤوا عاطلون عن العمل؟! فقلت: لو لم يكونوا عاطلين عن العمل لما ألقى كلّ واحد منهم رجلاً على أخرى هكذا! من بعد إذنكم عليّ أن أمضي لأقوم بأعمالي. فلم يقل بعد ذلك شيئًا. لقد قلت له: لولم يكونوا عاطلين عن العمل لما جلسوا على هذه الهيئة واضعين رجلاً على أخرى.

خرجت ومضيت وشأني، ثمّ قالوا إنّ فلانًا انزعج من مجيئك ومغادرتك. انزعج فلينزعج، وقال آخرون إنّ فلانًا اعترض. فلتذهبوا إلى مسجد ولتقرؤوا القرآن بوضع مناسب وفي ظروف مناسبة فأنا آتي وأشارك من أوّل المجلس وحتّى آخره، حتّى آخره.

إذا ما تساهلنا فقد أضعنا، لن يبقى قيد. في زمان رسول الله عندما جاء رسول الله اتّبعه أوّلا بعض العبيد فكان أوّل من خالفهم أسيادهم أن لماذا ذهبت إليه بغير إذن منّي؟! عليك أن تستأذن.

ـ الطريق إلى الله لا يحتاج إلى إجازة، ولا معنى لهذا الكلام.

فاتّخذوا منهم موقفًا قاسيًا وبدأ الأذى والسباب. في البداية بدأت السخرية، ثمّ الكلام القاسي، ثمّ الإيذاء، ثمّ أخرجوهم، ثمّ أبعدوهم، ثمّ سجنوهم وضيّقوا عليهم، لقد حاصروا النبيّ ثلاث سنوات وضيّقوا عليه أشدّ تضييق، وقد توفّيت السيّدة خديجة وأبو طالب في هذه السنوات الثلاث ولم يفصل بين وفاتيهما إلا أيّام قليلة.[1] ولكنّهم صبروا وخرجوا وهاجروا، لقد هاجر جعفر بن أبي طالب برفقة بعض المسلمين بأمر من النبيّ لينجو من شرّهم، فهؤلاء لا دين لهم، ولا وجدان لهم، ولا شرف لهم، يقدمون على أيّ شيء، فابتعدوا عنهم وانشروا الإسلام هناك، وكونوا في مأمن.[2]

لم يحرّك النبيّ ساكنًا حينها، فبدأوا بالحرب، فمعركة بدر لم يبتدئها النبيّ بل هم من بدأها، فقد كانت للنبيّ حالة دفاع بضع سنوات، فبدأوا بمعركة بدر ومعركة أحد ومعركة الخندق والأحزاب، فكانوا يغيرون ليلاً، كلّ ذلك من أجل الحفاظ على مواقعهم. أنت تسلب منّا موقعنا، أنت تأخذ منّا مقامنا أنت تبعد الناس عنّا.

فكان النبيّ يقول لهم في النهاية أنا أفرّقهم عنكم ولكن لا أجمعهم حولي أنا لكي تعترضوا، فلا هم حولكم ولا حولي أنا، فلنجتمع حول الله، فالنبيّ لم يكن ليدعوهم أن اجتمعوا حولي

---

١ أعلام الورى، ج١، ص ١٢٥ و١٢٩.

٢ المصدر السابق، ، ص ١١٥.

مناقب آل أبي طالب عليهم السّلام، ج ١، ص ١٧٣: الحَلَبيّ عن أبي عَبدِ اللهِ عليه السّلام قالَ: «**اكتَتَمَ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بِمَكَّةَ مُستَخفيًا خائِفًا خَمسَ سِنينَ لَيسَ يُظهِرُ و عَلِيٌّ مَعَهُ و خَديجَةُ، ثُمَّ أمَرَهُ اللهُ أن يَصدَعَ بِما يُؤمَرُ فَظَهَرَ و أظهَرَ أمرَهُ و توُفّيَ أبو طالِبٍ بَعدَ نُبوَّتِهِ بِتِسعِ سِنينَ و ثَمانيَةِ أشهُرٍ و ذَلِكَ بَعدَ خُروجِهِ مِنَ الشِّعبِ بِشَهرَينِ**». و زَعَمَ الواقِدِيُّ أنَّهُم خَرَجوا مِنَ الشِّعبِ قَبلَ الهِجرَةِ بِثَلاثِ سِنينَ. و فى هذه السَّنَةِ توُفّيَ أبو طالِبٍ و توُفّيَت خَديجَةُ بَعدَهُ بِستَّةِ أشهُر... و سُمّيَ هذا العامُ عامَ الحُزنِ و لَبِثَ بَعدَها بِمَكَّةَ ثَلاثَةَ أشهُرٍ فَأمَرَ أصحابَهُ بِالهِجرَةِ إلَى الحَبَشَة.

لكي تنشأ مشكلة شخصيّة وأنّنا نحن نجمع الناس حولنا فاذهب أنت إلى مكان آخر، لا تذهب إلى هذا المجلس واذهب إلى ذاك، إذا شاركت في هذا المجلس ذهب دينك، وذهبت آخرتك، وذهبت دنياك، وهذا عذابك، فذاك المجلس كمجلسنا هذا، لا يختلف عنه.

إذا جئت إلى مجلسنا فدنياك في أمان، ودينك في أمان، وإلهك في أمان، ونبيّك في أمان، وعقيدتك في أمان، والجنّة مضمونة لك، فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، افعل ما شئت من الأعمال القبيحة، فبمجرّد أن تأتي إلى مجلسنا فأنت في أمان.

كلاّ يا ياعزي، فالنبيّ والإمام ووليّ اللَه لا يدعون الناس إلى أنفسهم ليجتمعوا حولهم، يقولون: لا حولنا ولا حول المشركين، لنكن حوله هو، كن موحّدًا ولا بأس عندي في أن لا تراني حتّى آخر عمرك، لا ترني، لا ترني، متى قال النبيّ تعال إلى مسجد المدينة؟ اعتقد بالتوحيد ولا يجب عليك أن تساعدني، بمجرّد أن تعتقد بالتوحيد أنت بنفسك ستدرك ماذا عليك أن تفعل، أنت بنفسك تدرك إلى أين تذهب، أنت نفسك تدرك من تختار، أنت بنفسك تدرك إلى أيّ مسجد عليك أن تذهب، أنت بنفسك تدرك أيّة جماعة تختار، وأنت بنفسك تدرك أيّة نصيحة وأيّ كلام تقبل، أنا لا أقول لك تعال إلى مسجد المدينة واسمع كلامي، أنت بنفسك تركض يا عبد اللَه، تفرّ من بيتك وتأتي. أخلص وبرهن عن صفائك فستجد أنّ اللَه يلقي في رأسك أن تخرج من بيتك قبل ساعة من صلاة الظهر وتقف خلف النبيّ.

هذا هو التوفيق، برهن عن مقام الصفاء فإنّ اللَه يرسل خلفك ويلقي بك في مسير الحقّ، وفي ما يرضيه، بحيث لا تلتفت من أين أتيت وإلى أين ذهبت، وكيف هيّئت الوسائل، وكيف أعدّت المقدّمات، وكيف حصل هذا الأمر.

أمّا لو اتّخذت موقفًا لا سمح اللَه، فإنّ اللَه يقول: لا بأس اتّخذت موقفًا، فامض ونحن من ورائك بقوّة، إذا أردت أن تأتي إلى المسجد نحوّل وجهتك لتذهب إلى مكان آخر، اذهب إلى عملك، إذا أراد أن يقوم بعمل خير يرى فجأة أنّ "فكرة أفضل" قد جات: فلأذهب وأقوم بهذا

العمل! وهو لا يدري هذا المسكين من أين حصل هذا التحوّل وهذا التغيير ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾[1]

إذا ما سار الإنسان في طريق الله بقدم صدق

يقول:

إذا خطوت في طريق العشق بقدم صدق ❊❊❊ لتلقتك معشوقتك من خطوتك الأولى

فعلى الإنسان أن يعدّ قلبه ونفسه للحقّ.

يريدون ليطفئوا نور الله

﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ لقد وعد الله أنّه سيتمّ هذا النور، ولن يسمح بإطفائه، وسيوصله إلى أقصى مرتبة من الظهور والتلؤلؤ والتشعشع ﴿وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ فليحاولوا وليبذلوا قصارى جهدهم وليؤلّفوا الكتب ويؤلّفوا الكتب ويؤلّفوا الكتب ويؤلّفوا الآيات الشيطانيّة وليسخروا وليفعلوا ما يشاؤون.

يقول:

أيّتها الذبابة، لا تحاولي التحليق في مجال طائر السيمرغ، فإنّ ذلك يوجب لنفسك الهتك ويسبب لنا المتاعب.

لماذا ازدادت الحملات الإعلاميّة ضدّ الإسلام والتوحيد في العقد الأخير؟

كم يشنّون الحملات الإعلاميّة ضدّ الإسلام وضدّ التوحيد الآن! خصوصًا في هذا العقد الأخير، فبمقدار ما يميل الناس إلى الحقائق لا إلى الظواهر، لا إلى ما يرونه بأعينهم بل إلى ما يشعرون به بباطنهم ويشدّهم نور الباطن الذي هو الفطرة إلى الحقيقة وعالم التوحيد وعالم التجرّد، بمقدار ما يلتفتون إلى ذلك فإنّ الحملات الإعلاميّة تتضاعف، فلماذا ازدادت الحملات

---

١ سورة آل عمران (٣) الآية ٥٤.

الإعلاميّة إلى هذا الحدّ؟ لأنّهم يخافون، ففي جميع البلدان يقولون إنّ خطر الإسلام يهدّد الجميع، الأساقفة يعقدون المؤتمرات، وفي أحدها أعلنوا خوفهم الحقيقيّ من تحوّل المجتمعات إلى الإسلام، فعلينا أن نفكّر في وضع حدٍّ له. هؤلاء الحمقى بدلاً من أن يفكّروا بشكل صحيح، بدلاً من أن يعملوا على الانسجام والوحدة والعناصر المشتركة، يبدأون بالسير على غير هدى، يبدأون بالسخرية، يبدأون بالاستهزاء وبالأعمال القبيحة الخشنة، الأعمال التي يظنّون أنّ بإمكانهم من خلالها أن يمنعوا الناس من الاهتمام بالمعنويّات والحقيقة، والحال أنّ اللَه يحقّق بيده أمرًا آخر. يد اللَه تقوم بتغيير الأفكار فماذا يفعلون بذلك؟ تقوم بتغيير الأذهان، تقوم بتغيير النفوس، حقيقة الولاية تقوم ببلورة نفوس الجميع سواء كانوا متديّنين أو غير متديّنين، وآثار ذلك واضحة.

تفنيد محاولات التعرّض لابن عربي والعطّار وحافظ وجلال الدين الرومي

لقد مضى على وفاة محي الدين سبعمائة عام، وهم يقولون دائمًا إنّه كان سنّيًّا، وأنّ العطّار كان سنيًّا، وأمّا حافظ فلم يعودوا يقولون إنّه كان سنيًّا بل كان صوفيًّا، ومولانا كان سنيًّا.

حسنًا فإن كان سنيًّا فليكن، فماذا عنك أنت سواء كان هو سنيًّا أم شيعيًّا؟! لقد أثبتّ أنّ محي الدين كان سنيًّا فأيّ معضلة من المعضلات قد حلّت؟

حسنًا لقد سلّمنا أنّه سنّي، ألا تطالعون أنتم كتب أهل السنّة؟ ألا تطالعون تفسير الفخر الرازي؟ ألا تطالعون تفسير السيوطي؟ ألا تطالعون التفاسير التي كتبت في هذه العقود الأخيرة؟ ألا تطالعون كتب التاريخ والسيرة كسيرة ابن هشام والطبري وأمثالهما والصحاح وغيرها؟ فما دامت هذه الكتب لأهل السنّة فلماذا تطالعونها؟ لماذا تطالعونها؟ لماذا تخصّصون لها وقتًا؟ لماذا تتلفون أعماركم؟.

إن كان لا بدّ من بطلان جميع الكتب بمجرّد أن توصم بعلامة التسنّن فلماذا علينا أن نبذل عليها عمرًا؟ دعونا نحرقها ونرمي بها في البحر، فلماذا تريدون أن تبذلوا عليها الوقت؟

تقولون: نعم هؤلاء من أهل السنّة ولكن في كتبهم كلام جيّد ونحن أيضًا نقرأه

ونحن نقول: حسنًا، نحن أيضًا نقول: محيي الدين سنّي فاقبلوا بكلامه الصحيح، هل هناك مشكلة بيننا؟ ومولانا سنّي، حسنًا هو سنّي هو أكثر تسنّنًا من أيّ سنّي أيرضيكم هذا؟ حسنًا.

يقول:

نسأل اللّه التوفيق للأدب فالمحروم من الأدب محروم من لطف الرب

فهل شعره هذا سيّئ؟

يقول:

لقد تفل في وجه علي *** افتخار كلّ نبيّ ووليّ

لقد تفل في الوجه الذي يسجد القمر له في الساجدين.

فهل كلامه هذا سيّء أيضًا؟

وكلامه عن الاعتبار من الدنيا وأخذ المعارف وأمثال ذلك هل هو سيّئ؟ وهل النقاط اللطيفة التي يبيّنها في كتابه هذا سيّئة أيضًا؟

إن كانت سيّئة فلماذا قرأتها واستشهدت بها على المنابر وكان حرارة كلامك منها، من كلام مولانا هذا وأمثاله، ثمّ بدأت بالسباب فلماذا؟ لا بأس هو سنّي فليكن، فنحن الآن لا مشكلة بيننا، هل علينا أن لا نقرأ كتبه إن كان سنيًّا؟ إن كان علينا أن لا نقرأها فعليكم أن لا تقرأوا سائر الكتب أيضًا! فما الفرق بينها؟

هل قال مولانا إنّ عليكم أن تنكروا حديث القلم والقرطاس واحتضار النبيّ وهل أنكرها ابن عربي؟ لقد أنكرتها أنت أيّها الشيعيّ ولا زلت تردّد أنّ محيي الدين سنّي محيي الدين سنيّ

هل أنكر محيي الدين حديث **إنّ الرجل ليهجر** كما أنكرته أنت؟[1] لقد أنكرته أنت أيّها الشيعيّ؟ فهل فعل ذلك السنيّ ذلك؟ هل أنكر محيي الدين ركلة عمر لابنة رسول اللَه التي أنكرتها أنت؟ هل أنكر محيي الدين علم الإمام؟ اذهب وراجع صلوات محيي الدين على الأئمّة فهل قلت أنت بكلمة واحدة من مثلها؟! حسنًا إنّه سنيّ فنحن نسلّم أنّه سنيّ، هل لديك تلك المعارف التي لديه؟ أم أنّك تنكر علم الإمام وتقول إنّه لا يعلم الغيب وقد كتبت ذلك في كتبك؟! أليس في جواهر الكلام هذا ـ كتابنا الفقهيّ ـ أنّ الإمام عليه السلام يمكن أن يخطئ ويشتبه، ويمكن أن يقول إنّ اثنين في اثنين تساوي سبعة؟[2] ألا يوجد ذلك فيه؟! فاذهبوا وراجعوا وانظروا.

أفهل ينتهي الأمر بالقول بأنّه سنّي؟ هل تحلّ جميع مشاكل العالم الإسلاميّ بذلك؟

كلاّ ليس الأمر هكذا، فالدنيا يومًا بعد يوم تتوجّه لتلقّي الحقيقة، ولم يعد هناك مجال لأن نقول: هذا كان سنيًّا وهذا كان شيعيًّا، فلا نتحمّل أعباء ذلك عبثًا، فالدنيا تتوجّه لتلقّي الحقيقة، فإذا ما أصلحنا أنفسنا وجعلناها منسجمة مع ذلك فقد ربحنا، وإلا فلن يسمع أحد كلامنا، فلا نتلف الوقت هكذا، ولا نتلف الأوراق هكذا، ولا نبذل الأموال هكذا!

فاليوم يعدّ مولانا فخرًا للعالم، والدنيا كلّها تتقبّل هذا الأمر وتقبّلته، فاذهبوا وانظروا، انظروا إلى ذكرى وفاة مولانا هل هناك موضع لإبرة بين الناس؟ يأتون من جميع الأديان ومن جميع أنحاء الدنيا، يقرأون شعره ويعيشون على أساس شعره. لم يقل أحد اقبل شعره الذي قاله في الخلفاء والذي قاله تقيّة، بل نقول إنّه قاله لا عن تقيّة، فلا تأخذ به ولكن خذ ذاك الشعر الآخر، فلتأخذ بكلامه الجيّد، لماذا هذا التعاطي بالدفع والردّ؟ لماذا هذه الأمور؟ لماذا نتلف وقتنا عبثًا في هذه الأمور التي لا قيمة لها أبدًا، نردّد دائمًا هذا كان سنيًّا وهذا كان شيعيًّا، هذا كان سنيًّا وهذا شيعيّ، فنحن الذين من الشيعة ماذا قدّمنا لأهل البيت ممّا يُفتخر به؟!

---

١ مثنوى معنوى (مهدى آذر)، دفتر اول، ص ٨.

٢ المصدر السابق، ص ١٦٥.

هل سيؤيّد إمام الزمان إذا ما ظهر أعمالنا؟! هل سيؤيّد ما يقوله بعضنا لبعض؟! تلك التهم التي يتّهم بها بعضنا بعضًا هل سيؤيّدها؟ هل سيؤيّد إمام الزمان كلّ هذا الباطل الذي وقعنا فيه في هذه المدّة؟ نحن شيعة والحمد للّه أنّنا شيعة، ومحيي الدين سنيّ ونحن شيعة ولم يعد هناك أيّة مشكلة، وليس هناك أيّ أمر آخر، حسنًا لقد قلت الآن في هذا المجلس إنّنا نقبل بأنّ محيي الدين سنيّ، حسنًا فما هو كلامك الآخر؟ لقد سلّمنا وجعلنا محيي الدين سنيًّا وجعلنا العطّار سنيًّا ذلك الذي يقول:

والمعنى:

لو لم يكن من المشرق حتّى المغرب إمام ❊❊❊ إلا عليّ وأبناء عليّ لكفى

وهو ذلك السنيّ وقد قبلنا بذلك، فلم نر الشيعيّ الاصطلاحيّ الذي يقول في حقّ عليّ هذا الكلام، وهذا السنيّ. ومحيي الدين رغم كلّ كلامه في الفتوحات ومسائله حول الأئمّة هو سنيّ أيضًا. وابن الفارض الذي قال:

هو سنيّ أيضًا، حسنًا فما النتيجة؟ هل انحلّت المشكلة بيننا هل اطمأنّ بالكم؟ ماذا حصل؟ أيّة مشكلة قد حلّت؟

اتّهام الملاّ حسين قلي الهمداني بالتصوّف ودفاع آية الله الشربياني عنه

بدلاً من أن ندعو الناس إلى التوحيد وإلى العرفان الواقعيّ، ندعوهم إلى طريق الآخوند الملاّ حسين قلي الهمداني ذلك الرجل الجليل الذي اتّهموه بالتصوّف وأنّه من الدراويش. ومن الذي اتّهمه بذلك؟ هؤلاء العلماء الأعلام، ثمّ كتبوا إلى الشربياني رحمه اللّه ـ ألم تقرؤوا ذلك؟ وقد كتب في بعض الكتب ـ أنّ هذا الرجل صوفي ودرويش فأجابهم: إن كان التصوّف هو هذا الذي لدى الآخوند فليت اللّه يجعلني واحدًا من الصوفيّة.[1]

---

١ الصواعق المحرقة، ص ١٧٠: «وللشيخ الجليل شمس الدين ابن العربي رحِمهُ اللّه:رَأيتُ وَلائي آل طه فَريضَةً❊❊❊عَلَى رغم أهلَ البُعدِ يورِثُني القُربافَما طَلَبَ المَبعوثُ أجرًا عَلَى الهُدى❊❊❊بِتَبليغِهِ إلّا المَوَدَّةَ فى القُربَ

لأنّ الشربياني قال فقد انتهى الأمر ويجب أن لا يُتكلّم عن الآخوند [الملا حسين قلي الهمداني]، ألأنّ الشربياني رحمه اللَه أيّده فقد انتهى الأمر وإلا لكنّا طردناه ورجمناه وآذيناه كثيرًا، ولو استطعنا لأذقناه الأمرّين، ولحذفناه من صفحة الوجود.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ اللَه لا يسمح أن تبقى ولاية أمير المؤمنين طيّ الكتمان. اللَه لا يأذن أن تزول تلك الحقيقة التي من أجلها قدّم أمير المؤمنين السيّدة الزهراء في سبيل اللَه، فلا نتعب أنفسنا نحن، إنّ تلك الحقيقة التي افتداها الحسنان باقية.

إنّ وليّ الدين وقيّم الدين هو ابن الحسن والحسين إمام الزمان، إنّه لا يسمح أن يزول نور أبيه وولاية أبيه بهذه الأمور وهذا الكلام وبطباعة الكتب، فمن هم هؤلاء؟ من هي أميركا وبريطانيا؟ العدو عدوّ، وقد صار معروفًا الآن أن يقال إنّ العدوّ وراء كلّ شيء، فمن هي أميركا ومن هي بريطانيا؟ من هم الروس ومن هو الغرب وأمثاله وما هذا الكلام؟ العدوّ نحن أنفسنا الذين أخذنا نضرب جذور الدين، نحن العدوّ حينما لم نترك بأعمالنا وسلوكنا كرامة واحترامًا للنبيّ، فمن هو العدوّ؟ كلّ شيء منهم منهم؟

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ﴾ نحن نخال أنّ الناس لا يروننا ولا يدركون وأنّهم قد أكلوا التبن! كلاّ يا عزيزي فالناس لم يأكلوا التبن، والناس يروننا، ويفهموننا جيّدًا، يرون أعمالنا ويدركون جيدًّا وقد وضعوها عملاً عملاً تحت المجهر، هم يميّزون ذلك العالم الذي يعيش بصدق وعلى أساس الحقيقة كالعلاّمة الطباطبائي، ويستمرّ في حياته ويعمل ويبلّغ ويؤلّف الكتب على هذا الأساس، ومثل العلاّمة الطهراني رضوان اللَه عليه يعيش هكذا، هم يميّزونهم عن أصحاب الضجيج والغوغاء، كالذين يسافرون إلى البلدان الأجنبيّة لأجل ألم في الرأس، لأجل إجراء فحوص طبيّة عامّة، وكأنّ هذه الأمور ليست متوفّرة هنا! فالناس يدركون ويهزأون منّا. يدركون بشكل جيّد مهما صرخنا في حديثنا عن اللَه وعن التوحيد وعن الإسلام وعن النبيّ وإمام الزمان، يقولون لنا: حسنًا قوموا بأعمالكم قوموا بأعمالكم.

أذكر أنّ المرحوم العلاّمة سنة اثنين وأربعين[1] حينما كنت طفلاً في السابعة أو الثامنة من عمري، ولكن الله وفّقني أن تبقى هذه الأمور في ذاكرتي، قال في أحد المجالس جملة عجيبة، قال: إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة وأحضرنا في عرصاتها وجعل اليهود والنصارى والمشركين والمنحرفين أمامنا وسألنا كم هي نسبة انحرافهم التي هي بسبب أعمالكم أنتم؟ ـ وأنا لا أقول إنّها بالكامل ـ فما هو جوابنا؟ كم هي النسبة؟ لا أقول إنّها مائة في المائة، وأنّهم انحرفوا بالكامل لأنّهم رأوا أعمالكم، فتركوا الله والنبيّ، والسافرة التي تمشي الآن في الشارع بغير حجاب لأنّها رأتكم ورأت أعمالكم وسلوككم، فلو جاء الله بنا وجعلنا أمامهم فقالوا لله: إنّ ثلاثين بالمائة أو أربعين بالمائة من باطلنا هو بسبب فهمنا للمسائل التي كنّا نراها فماذا لدينا من جواب؟ فاليوم نحن أدركنا وسندرك في أيّ أفق كان هؤلاء في أيّ أفق فكريّ؟ وكيف كانوا ينظرون إلى الأمور؟ فهل يمكن أن يأتي يوم القيامة منحرف ويمسك بتلابيب العلاّمة الطباطبائي ويقول: عندما نظرت إليك انحرفت؟ أبدًا لا يمكن. لأنّ العلاّمة الطباطبائي لم يكن لديه نقص. هل يمكن أن يأتي يوم القيامة منحرف ويأخذ بتلابيب السيّد القاضي ويقول: لقد نظرت إليك فتركت بسبب أعمالك الله والنبيّ؟ حسنًا فليأت يوم القيامة لنرى، سنرى في النهاية أنّ الأمر لا يرجع إلينا نحن، إن شاء الله، سنذهب ونرى. هل يمكن أن يأتي أحد ويقف أمام الحاج الميرزا جواد الملكي التبريزي ويقف أمام السيّد القاضي وأمام السيّد الحدّاد وأمام أولياء الله، وأمام العلماء المنزّهين والصالحين، ولا يشترط أن يكون من العرفاء، فلو كان عالمًا حرًّا صالحًا متعبّدًا تقيًّا ولو لم يبلغ تلك المراتب؟ كلا لا يمكن، وهذا الأمر يجعل جلودنا تقشعرّ أن كيف لا نلتفت إلى هذا الأمر؟.

ما هي وظيفة عالم الدين في هذا الزمان؟

لذلك فما هي وظيفة عالم الدين في هذا الزمان؟

---

[1] ١٣٤٢ هجري شمسي الموافق للعام ١٣٨٢ هجري قمري و١٩٦٣ م وقد حصلت فيه بعض الأحداث السياسيّة (م)

وظيفته هي أن لا يرى سوى الحقّ ولا يدرك سوى الحقّ، وبعد إدراكه لا يلتفت إلى أحد، فقد انتهى الأمر. على عالم الدين أن لا ينظر إلى زيد وعمر وبكر، عليه أن لا ينظر إلاّ إلى الإمام الصادق فحسب وكفى. فليقل كلّ إنسان ما شاء فهل أتينا إلى هذه الدنيا لنرضي هذا وذاك، هل أتينا إلى هذه الدنيا لنؤلّف كتابًا نحقّق به رضا فلان أو فلان ونجعل البسمة على شفتيه، افترض أنّه لم يبتسم إلى مائة سنة، فنحن لم نأت لنحصّل رضا هذا ورضا ذاك، نعم الكلام الباطل والشتم والكلام الركيك هذا كلّه غير صحيح بل وقد يكون حرامًا حرامًا، أمّا بيان الحقّ للنّاس فلو لم نقم به أنا وأنت فمن أين سيتلقّاه من كان له استعداد، فهذا الكلام لا يتوفّر في مكان آخر في النهاية، فلو لم يكتب المرحوم العلاّمة كتاب الروح المجرّد ولم يضمّنه بعض الحقائق فمن أين كان يمكن لهذه الأذهان الخاضعة للأجواء الإعلاميّة من كلّ جانب أن تشقّ ستار الدعاية وتصل إلى تلك الحقيقة، فهذا الكلام لا وجود له في مكان آخر، فليقل هذا الكلام وأنّ العلاّمة الطهراني قد قال حول ذاك الأمر كذا وكذا، وقد كتب في كتاب كذا عن الحوزة كذا وكذا. حسنًا إن لم تكن هذه الأمور موجودة فقولوا إنّ كلامه كذب، إن لم تكن موجودة فلتقولوا إنّه كذب، فلتقولوا إنّه كذب.

سمعت أنّ هناك من أخذ الجزء الأوّل من كتاب أسرار الملكوت الذي ألّفته إلى النجف وأراه إلى بعضهم وقال: انظروا ماذا قال عنكم العلاّمة الطهراني ـ إشارة إلى تلك الأمور التي نقلناها ـ فقال: عجيب لم أكن أعلم أنّ السيّد محمّد حسين يظنّنا هكذا.

إنّه عجيب منك، أفهل ذكر السيّد محمّد حسين اسمك في الكتاب حتّى تقول هذا، فالأمر لا يخلو من حالين... فأولاً أنت تتّهم السيّد محمّد حسين بأنّ المقصود من هذه العبارة هو أنت والحال أنّه لم يقل ذلك، فهذه تهمة، والتهمة حرام، وقد ارتكبت عملاً محرّمًا.

وثانيًا: الأمر لا يخلو من حالين: إمّا أنّك مندرج تحت هذا الكلام وإمّا لست مندرجًا. فإن كنت مندرجًا فلتذهب وتصلح نفسك! وإن لم تكن مندرجًا فهو لم يتكلّم عنك، فلماذا تقول إنّه يريدك لماذا؟

وثالثًا: إن كان مراده هو كلّ من كان في النجف فقد كان هو نفسه على علاقة بكثير من الأعاظم والعلماء في النجف، كالسيّد جمال الكلبايكاني، فهل مراده من هذا الكلام السيّد جمال نعوذ باللَه أو السيّد عبد الهادي الشيرازي أو الشيخ عبّاس هاتف رحمة اللَه عليهم؟ وكان على صلة مع آخرين كانوا هناك من العلماء والأعاظم وإن لم يكونوا من أهل العرفان، أولم يبيّن هو نفسه هذه الأمور ويذكر أمثال الشيخ محمّد حسين الأصفهاني وشيخ الشريعة الأصفهاني والشيخ الاستهباناتي بأنّهم رجال الحكمة والتوحيد فلماذا يتّهم الإنسان بغير إنصاف ومروءة رجلاً جليلاً، فهناك سيمسكون بيد الإنسان ويحاسبونه. وحالي أنا هي كذلك أيضًا والجميع هكذا. فعلينا أن نطابق أنفسنا مع هذه الأمور، فإن كان الكلام حقًّا علينا أن نقبله ونعمل على الإصلاح.

فوظيفة أهل العلم وخصوصًا الطلاّب والأحبّة والأعزّاء من أهل العلم الذين يريدون أن يجعلوا طريقهم من البداية نحو هذا الاتّجاه أن لا يجعلوا من البداية أمامهم سوى أهل البيت ومدرسة أهل البيت وأن لا يمزجوا مع هذا الصلاح الأتمّ والكمال المطلق الذي هو اتّباع مدرسة أهل البيت واتّباع الإمام المعصوم عليه السلام وإمام الزمان وفهم أحاديث الصادقين والأئمّة عليهم السلام ورواياتهم أيّ أمر آخر، فإنّهم إن فعلوا ذلك خسروا وإن فعلنا ذلك خسرنا.

عندما تفتحون كتابًا وتواجهون رواية للإمام الصادق ورواية للإمام الرضا لا بدّ أن يكون هدفكم أن تفهموا هذه الرواية وتعملوا بمقتضاها. وفي الصفحة التالية والتي بعدها والتي تليها حتّى آخر الكتاب، ثمّ الكتاب الآخر والذي بعده وهكذا.

علينا أن نفهم، فإذا فهمنا بلّغنا ما فهمناه بعينه للنّاس وأخبرنا به الناس، وإن كان يتقابل مائة في المائة مع بعض العقائد ويتعارض مع بعض الأذواق. ألم يحدث ذلك؟ فهذا قائد الثورة آية اللَه الخميني رحمة اللَه عليه كم ارتفعت آهاته إلى السماء في كتابته وكلماته من هؤلاء المتحجّرين، وقد سمعته بنفسي منه، نعم لم يكن مشافهة ولكن بواسطة الشريط أو الراديو ونحو ذلك، فقد كان يتكلّم في التفسير على ما يبدو فقال:

عندما كنت في قم كنّا إذا ذهبنا إلى منزل بعضهم كانوا يقولون اغسلوا كوب الشاي التي يشرب بها السيّد مصطفى ـ رحم الله آية الله السيّد مصطفى الخمينيّ فقد كان رجلاً صالحًا وقد رأيته مرارًا، كان يأتي كلّ أسبوع من النجف إلى كربلاء ويلتقي بالسيّد الحدّاد مدّة ساعة ويطرح عليه الأسئلة ويجلس متربّعًا بكامل الأدب ويصغي ولا يتكلّم بشيء، فقط كان يسأل وهو يجيبه ثمّ يقوم ويمضي، وكان السيّد الحدّاد يحبّه أيضًا وكان له اهتمام به ـ لقد جاء طفل فيقولون: اغسلوا كوبه فإنّها كوب ابن من يقول بوحدة الوجود.

فيا عجبًا إلى أين يصل التحجّر حتّى يختلفوا في المعتقد بوحدة الوجود فيقول بعضهم إنّه نجس ويقول الآخر إنّه طاهر. والحمد لله لقد حللنا المشكلة من أصلها في رسالة طهارة الإنسان حيث ذكرنا أنّه ليس هناك إنسان نجس في العالم، فلتقولوا إنّ القائل بوحدة الوجود نجس، فنحن أثبتنا أنّ الشيوعيّ أيضًا طاهر، فكيف بالقائل بوحدة الوجود. طبعًا القائل بوحدة الوجود أسوأ عندكم من الشيوعيّ، فهذا الأمر لم أذكره، فربّما يكون القائل بوحدة الوجود هو الوحيد النجس، فهذا ما لم نستثنه، وإن شاء الله نضيفه في التعليقة في الطبعات اللاحقة. لقد رافق التحجّر هذا الأمر دائمًا، رافقه التعصّب والانغلاق.

إنّ وظيفة طلاّب طريق الحقّ وأتباع مدرسة التوحيد وأتباع سيرة وسريرة أولياء الله هي أن نبيّن الحقّ كما بيّنه أولئك الأعاظم، ولا نمزجه فلو مزجناه حتّى بنسبة واحد في المائة فقد خسرنا، علينا أن لا نلتفت إلا إلى الإمام وحده، إلى مدرسة أهل البيت وحدها ونستمدّ منهم ونتقدّم في طريقهم. جعلنا الله من الأتباع والسالكين الحقيقيّين لمدرسة أهل البيت عليهم السلام.

أهميّة التوسّل بالسيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام

علينا في هذا اليوم المبارك والسعيد الذي هو يوم ولادة سيّدة نساء العالمين السيّدة الصدّيقة الكبرى سلام الله عليها أن نستمدّ من نفسها الملكوتيّة والقدسيّة، ونطلب أن تمدّنا بأنفاسها وتعيننا وأن ترفع العوائق من طريقنا.

لقد ذكر المرحوم العلاّمة الكثير عن التوسّل بالسيّدة الصدّيقة، وهو نفسه عندما كان في النجف ـ حسبما سمعته من بعض عباراته ذات مرّة ـ إنّما فتح له الباب ونال توفيق الوصول إلى حقيقة العرفان ومدرسة التوحيد بواسطة التوسّل بالصدّيقة، لقد حصل له ذلك حينها، ثمّ كان يؤلّف كتابًا بهذه المناسبة في أيّام ولادة السيّدة الزهراء، وقد استمرّ هذا التوفيق حتّى آخر عمره، وقد كان منذ ذلك الحين عندما كان في النجف. وكان يبالغ في توصيتنا بالتوسّل بالسيّدة الصدّيقة حيث إنّ فيه أمورًا وأسرارًا لا يمكن الكلام عنها. وهكذا كنت أسمع أيضًا كلامًا من السيّد الحدّاد حول هذا الأمر، فقد كانت لديه عبارة يقول فيها: في رحلتي إلى مكّة والمدينة كانت حالتي عجيبة جدًّا، فكلّما كنت أدخل إلى مسجد النبيّ وحرمه كانت تسيطر عليّ في الوهلة الأولى ولاية وأبّهة وهيمنة السيّدة فاطمة الزهراء بحيث أنّي لم أكن ألتفت إلى غيرها ما دمت في المسجد.[1]

وإنّه لعجيب جدًّا! ففي الموضع الذي دفن فيه النبيّ ما هو السرّ في أن يسيطر جلال وعظمة السيّدة الصدّيقة على النفس بمجرّد الدخول إلى مسجد النبيّ، ويجعل تلك النفس تحت ولايتها وتحت سيطرتها؟! ما شاء اللَه ما شاء اللَه! وأمّا ماذا هناك فنحن لا ندري، نحن نقلنا الكلام ولا اطّلاع لنا، رزقنا اللَه شمّة من هذه الحالات لنعرف كيف عرف هؤلاء الأعاظم المعصومين، وكيف أدركوهم.

ثمّ مع ذلك تجد عددًا من الناس يقولون: ماذا يقول فلان؟ فاكتب مقالة واعترض في الكتب، واعترض على الروح المجرّد وقل: ماذا يدرك فلان؟ امض وشأنك! بدلاً من أن تأتي

---

١ الروح المجرّد، ص ١٥٨: ومن جملة حالاته في المدينة الطيّبة كان يقول: لقد غمرتني عظمة الزهراء سلام اللَه عليها سواء في المنزل أو في مسجد النبيّ، و خاصّةً في مسجد الرسول؛ حيث كانت عظمتها متجلّية وكأنّ جميع مقام النبوّة بجميع خصوصيّاته وجميع مدارجه و معارجه وجميع درجاته ورُتبه كان متجلّياً فيها سلام اللَه عليها؛ وبضعة رسول اللَه تلك هي سرَّ رسول اللَه و حقيقته و جوهره، ولم يخلق اللَه تعالى كمثلها موجوداً حاملًا ومضمّنًا لهذا السرّ، وهي في مقام الوحدة عين رسول اللَه.

ملاحظة تمّت مقارنة النصّ المترجم مع المتن الفارسي وتعديله بما يناسب. (م)

وتسلّم وتستفيض من منبع الوحي ومصدر التشريع ومبدأ عالم الوجود السيّدة فاطمة الزهراء مبدأ الوجود المنفعل.

وهذا أمر عجيب للغاية حيث إنّ حديث: **"لولا فاطمة لما خلقتكما"**[1] ناظر إلى هذا الأمر، وأنّ الوجود المنفعل والقابل للتعيّنات وجميع التشخّصات في عالم الوجود هو بمجرى وبظهور السيّدة فاطمة وولايتها ونفسها، ولا يمكن أن يكون هناك فاعل بدون انفعال.[2]

لذلك فإنّ التوسّل بالسيّدة الزهراء له آثار عجيبة، وعلى الرفقاء أن لا يغفلوا عن ذلك.

العمائم تيجان الملائكة

والحمد لله لقد وفّق الله اليوم بعض الأصدقاء والأخلاّء والأعزّاء الروحانيّين والأفاضل من الأصدقاء [للعمامة]، كما استنّوا في الباطن وفي العلم وفي الإدراك وفي الطريق بسنّة وسيرة ومدرسة أهل البيت عليهم السلام وساروا في هذا الطريق من البداية قاصدين ذلك الهدف، لا لأجل أمور أخرى ولا مازجين أمورًا أخرى من الوصول إلى هنا أو هناك، والتصدّي إلى بعض المقامات والمناصب وأمثالها، فهذا كلّه شيطان ودنيا[3] و...

يقول:

خلق الدنيا من وضيع أو رفيع *** لعنة الله عليهم أجمعين

---

١ مجمع النورين، ص ١٤؛ عوالم العلوم و المعارف، مستدرك السيّدة الزهراء حتّى الإمام الجواد عليهم السّلام)، ج ١١ ـ قسم ١ – فاطمة ع، ص ٤٤.

٢ راجع: نفحات انس، ص ١٤٤.

٣ الأمالي، الشيخ الطوسي، ص ٥٢٥ ـ ٥٣١: عن وَهبِ بنِ عَبدِ اللهِ بنِ أبي ذُبَيّ الهُنائيّ، قال: حَدَّثَني أبو حَربِ بنُ أبي الأسوَدِ الدُّؤَليّ، عن أبيهِ أبي الأسوَدِ، قال: قَدِمتُ الرَّبَذَةَ فَدَخَلتُ عَلَى أبي ذَرٍّ جُندَبِ بنِ جُنادَةَ فَحَدَّثَني أبو ذَرٍّ، قال: دَخَلتُ ذاتَ يَومٍ في صَدرِ نَهارِهِ عَلَى رسول الله (صلّى الله عليه و آله) فى مَسجِدِهِ فَقُلتُ: يا رسول الله، بِأبي أنتَ و أُمّي أوصِني بِوَصيَّةٍ يَنفَعُني اللهُ بِها. فَقالَ: **«يا أبا ذَرٍّ، إنَّ الدُّنيا مَلعونَةٌ، مَلعونٌ ما فيها إلّا ما ابتُغِيَ بِهِ وَجهُ اللهِ (عزّوجلّ)** »مكارم الأخلاق، ص ٤٤٦-٤٥٣: عن عَبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ قال: دَخَلتُ أنا و خَمسَةُ رَهطٍ مِن أصحابِنا يَومًا عَلَى رسول الله صلّى الله عليه و آله وسلم فَقُلنا يا رسول الله... فَقالَ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم **«يا ابنَ مَسعودٍ الدُّنيا مَلعونَةٌ مَلعونٌ مَن فيها و مَلعونٌ مَن طَلَبَها و أحَبَّها ونَصَبَ لها»**

وكان المرحوم العلاّمة يقول: كلّ ما تفوح منه رائحة سوى اللَه فهو دنيا، كلّ ما تفوح منه رائحة غير التوحيد فهو دنيا، وكلّ ما تفوح منه رائحة غير نور الحقّ ونور التجرّد فهو دنيا، كلّ ما تفوح منه رائحة التعلّق.[1]

نعم لقد خطوا في هذا الطريق من دون هذه الأمور عملاً وظاهرًا، وكذلك لبسوا لباس النبيّ الأكرم وتعمّموا وتتوّجوا بتيجان الملائكة التي هي العمائم.[2] وهذه حقيقة، حقًّا إنّها حقيقة واقعيّة.

آثار اللباس عمومًا والعمامة خاصّة على النفس

إنّ من يعتمر العمامة تختلف حالته عمّن يسير في هذا الطريق بغير عمامة، ولا تردّد في ذلك.

لماذا يقولون: تعمّموا في الصلاة؟ ألأجل أن لا يقع الغبار والتراب على رؤوسكم؟! أم لأنّ اعتمار العمامة كما يغيّر الظاهر يغيّر حال الإنسان أيضًا؟! هذا الظاهر يجلب الملكوت، وذاك الملكوت يؤثّر في الصلاة. قارنوا بين صلاة بعمامة وصلاة بغير عمامة.

واستحباب العمامة في الصلاة لا يختصّ بالمعمّمين، فالأمر بالنسبة إلى غير المعمّمين هو كذلك أيضًا، ولو بأن يلفّ على رأسه لفّتين من عمامة بيضاء أو صفراء، ففي زمان المرحوم العلاّمة كان الرفقاء الذين يأتون إلى مسجد القائم يصطحبون معهم عمائم ويلبسونها ويصلّون بها، وفي ليالي الإحياء كانوا يلبسونها أيضًا، ومن كان من السادة فكان يلبس عمامة خضراء أو سوداء، فغير المعمّمين أيضًا كانوا هكذا، والأمر لا يختصّ بأهل العلم. هذا العمل يحفظ الإنسان، فمثلاً استحباب أن يبقى الحاجّ بين العمرة والحجّ بلباس الإحرام أتعلمون لماذا؟ لأنّ أجواء الإحرام وأحواله تبقى فيه وإن لم يكن محرمًا. ألم تلاحظوا ذلك بأنفسكم؟ فلتجرّبوها، عندما تنزع لباس الإحرام وتلبس اللباس المتعارف يختلف حالك وينتهي الأمر. ولذلك يقولون يستحبّ أن يبقى الإنسان في الفترة ما بين العمرة والحج بلباس الإحرام، وذلك كيلا

---

١ شعر منسوب إلى مولانا جلال الدين الرومي.

٢ إشارة إلى هذا البيت من شعر حافظ: غلام همّت آنم كه زير چرخ كبود***ز هرچه رنگ تعلّق پذيرد آزاد استيقول: تأسرني همّة مَن تحرّر من كلّ ما يمكن أن يُتعلّق به تحت هذه السماء الزرقاءديوان حافظ (قزويني)، ص ٢٢٠، غزل ٣٧

يغرق في الدنيا ويشتغل بالكثرات من جديد بعد أن أحرم وقبل أن يمضي إلى عرفات وسائر أعمال الحجّ. ولكنّهم يقولون الآن: لماذا تلبسون لباس الإحرام؟

فالعمامة هي حالة تستجلب نفوس الملائكة، ما دام الإنسان معمّمًا يشعر بأنّه حاله مختلف، وذلك لأجل حضور الملائكة. وهذا كلّه أسرار، فلم تُلبَس العمامة عبثًا، ولم يلبسها النبيّ عبثًا، فقد كان بإمكانه أن يجعل على رأس أمير المؤمنين قبّعة بدلاً من العمامة، قبّعة من هذه القبّعات الصوفيّة أو ما شابه من أنواعها المختلفة. فلماذا ألبسه عمامة؟ لأنّ ما يعلمه النبيّ لا أعلمه أنا ولا يعلمه الآخرون، فلأنّه يعلم يقول: أنا صادق مصدّق، وأنا أفعل هذا فافعلوه أنتم أيضًا وإن كنتم لا تعلمون، ثمّ ستصلون إلى سرّه، فلا تقولوا: لا نريد، لا تقولوا: لا فائدة منها لا تقولوا: ما هذا الكلام؟ لا تقولوا: هذا لصنف خاصّ من الناس، الآن صارت العمامة خاصّة بصنف خاصّ، وسابقًا لم تكن هكذا، وكان الجميع يلبسونها، فكان التاجر والعامل والفلاّح يلبسون العمامة، وخصوصًا الفلاّحون فقد كان كثير منهم في كثير من الأماكن يلبسونها، أمّا الآن فلا، بل تختصّ بفئة خاصّة من علماء الدين والمبلّغين للشريعة.

وفّقنا اللَه جميعًا ووفّق الذين يلبسون في هذا اليوم المبارك لباس الملائكة وتاج الملائكة أن يستمدّوا من باطن ولاية الصدّيقة الكبرى سلام اللَه عليها لأن تشفع لهم عند ابنها الحجّة ابن الحسن المهديّ أرواحنا لتراب مقدمه الفداء، وأن تبقى يد ولايته على رؤوسنا جميعًا حتّى الوفاة وبعد الوفاة في يوم القيامة وفي ذلك العالم، فمن دون الإمام جميعنا سنكون جميعًا في ورطة هناك، وهناك تتجلّى حاجتنا إلى إمام الزمان أكثر فأكثر لا هنا وإن كنّا هنا نحتاج أيضًا، وإن شاء اللَه يوصلنا اللَه إلى حقيقة العبوديّة تحت ولاية إمام الزمان.

اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد